تحقيق

«إخوان» سوريا انتفاخ وتسلـ

سجّلت جماعة «الإخوان المسلمين» ظهورها الثاني في تاريخ سوريا الحديث، الأول كان في أحداث عام 1982، والثاني في الأحداث الحالية. وفي كلتا المرتين اللتين أطلّت فيهما الجماعة على السوريين، كان مستوى الصراع مع الخارج والعنف والطائفيّة في أعلى درجاته، حتّى غدا اسمها جزءاً من وعي الأزمة في الذاكرة الجمعيّة السوريّة. وبالرغم من كثرة تداول اسم «الاخوان» مع كل تطور تشهده الأزمة، إلا أن جوانب عدة لا تزال مجهولة عنها في نظر السوريين: الإيديولوجيا، الدور السياسي خلال الأزمة، الوزن العسكري والتنظيمي، والتمويل

الجيل يعرف الكثير عن الحرب بين الحكم و«الإخوان»، إلا أنه لا يعرف إلا القليل عن التوافقات التي حصلت في مطلع الثمانينيات.

دمشق ـ **ليث الخطيب**

منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي، لا يكاد يمرّ يوم على السوريين من دون أن تطرق مسامعهم كلمتا «الإخوان المسلمون». بدءاً من الاجتماع الصباحي اليومي لطلبة المدارس، في كل مدارس القطر، الذي كان يُردّد فيه شعار: «عهداً أن نتصدّى للإمبريالية والصهيونية والرجعية. ونسحق أداتهم: عصابة الإخوان المسلمين المجرمة»؛ مروراً بذكرى الحرب الأليمة التي نَجمت عن حراك هذه الجماعة خلال أحداث حماه عام 1982 وبعدها، عندما انخرطت في مواجهة الدولة لقلب نظام الحكم ومنيت بهزيمة تاريخية؛ وصولاً إلى ارتباط اسم الجماعة بمعظم الضغوط الغربية على سوريا بُعيد احتلال العراق عام 2003.

لذا، لم يكن مستغرباً أن يحضر اسم الجماعة، بقوة، خلال الأزمة السورية، سواء في الحراك السياسي أو العسكري، رغم سعي قادتها إلى تحييد اسمها، مؤقتاً، لمصلحة الأطر الائتلافية التي تحمل مسميات جماهيرية جامعة، مثل «المجلس الوطني» أو «الائتلاف السوري المعارض»، لأن «الزمن الحالي هو زمن الثورة ضدّ الطاغية، وليس زمن صراع البرامج السياسية»، بحسب ما يقول الكادر الاخواني «أبو حامد الميداني» لـ«الأخبار». ويضيف الرجل الأربعيني: «على هذا الأساس كُلّفت كادرات الجماعة مرحلياً بالانخراط في كل فعاليات الثورة السياسية والعسكرية».

«وأعِدّوا...»

في سوريا والبلدان الشبيهة بها، تجسّد اليسار في التيارات العلمانية والوطنية كالبعثي والشيوعي والناصري، فيما تجلّى اليمين في التيارات الدينية التي تمارس نشاطاً سياسياً دعوياً يستنهض الانتماءات العائدة إلى ما قبل الدولة الوطنية، وبالأخص الانتماء المذهبي، كـ«الاخوان» و«حزب التحرير الإسلامي» الذي نشط منتصف ستينيات القرن المنصرم. فشيوع المفردات العشائرية أو المذهبية في أحاديث كادرات الجماعة، مثل: أهل السنّة، النصيرية (العلويّة)، الإسماعيلية، الدروز... الخ، «هو واقعيّة، وتسمية للأشياء بمسمياتها»، على حد وصف أبي حامد، «على عكس خطاب العلمانيين الذي يمزق وحدة الأمة بألفاظه العائمة: وطني، يساري، ليبرالي، اشتراكي، فيما جعلوا الانتماء الإسلامي الجامع انتماءً ثانوياً». إلا أن أبا حامد يستدرك بأن «هذا الخلاف عقائدي، ولا يجوز أن نمعن فيه، في وقت يذبح فيه الشعب السوري على يد النظام».

كثرة الحديث في الأيديولوجية تزيد من ضيق الرجل، لكنه لا يتردد في الإفصاح عن هدف «دولة الإخوان» مبتسماً، فيقول: «السلطة... فهي القوة التي ترعى حياة الإنسان من بغي الخلطاء وغوائل الغرباء». والخلطاء وصف يدل على أبناء الطوائف الإسلامية الأخرى الرافضين لحكم الشريعة. أما في المسائل المتعلقة بالاقتصاد فـ«تدعو الجماعة إلى اقتصاد إسلامي بإقامة بنوكه ومؤسساته ومنها الزكاة، وتشجيع القطاع الخاص، وجذب الاستثمارات من الخارج»، ويولي أبو حامد التجارة مكانة خاصة في الاقتصاد قائلا: «التجارة مهنة مباركة، والتجّار عماد الجماعة وأركانها».

> **الغاية من تضييع الحدود بين العضوية العسكرية والسياسية للتنظيم نسب آلاف الثوار إلى الاخوان**

تنظيم الجماعة

في بداية الأحداث، فوجئ الجيل الشاب في دمشق وريفها، الذي لطالما ردّد في نشأته ذاك الشعار الصباحي المندّد بعمالة الجماعة، بوجود مراكز أساسية محسوبة على «الاخوان» داخل العاصمة، وبقاء بعض من رموزها التاريخيين في الداخل، وعلى مرأى من عيون الدولة وأجهزتها، كمسجد الامام «حسن حبنّكة» في وسط الميدان، الذي يحمل اسم الداعية الأكبر للجماعة في دمشق في أواسط الستينيات، ومسجد الشيخ «عبد الكريم الرفاعي»، من الجماعة أيضاً، في دوار كفرسوسة في مقابل مبنى أمن الدولة. فهذا

كل التنظيمات المسلّحة التي تبدأ بكلمة «لواء» محسوبة على «الإخوان المسلمين» (أرشيف)